نصّان

الأول: للشيخ عمار لزعر (1894-1969)

الثاني: للشيخ ابن باديس في تقريض كتاب أعيان المغاربة

تأليف إدمون غوفيون وزوجته مارثا

أ. د. أبو القاسم سعد الله

1 -النص الأول لعمار لزعر

مقدمة

في إحدى زياراتي لمكة المكرمة التقيت الشيخ محمد علي حروز (المعروف أيضا غدور)، وجرى الحديث عن الشيخ عمار بن لزعر القماري السويفي الجزائري الذي هاجر إلى الحجاز سنة 1937 وتوفي بالمدينة المنورة سنة 1969. وكان الشيخ حروز يعرف الشيخ عمار جيدا، وهو ابن بلده ورفيق دربه في الهجرة. فناولني الشيخ حروز بهذه المناسبة ثلاث وثائق:

1 - ورقة مكتوبة على وجهين بخط الشيخ عمار لخص فيها سيرة حياته.

2 - صورتين معا تضمان صورة الشيخ عمار ووالد الشيخ حروز(محمد علي بن الحاج أحمد بن غدور=حروز.

3 - "دفتر في أصول الفقه" بخط محمود بن بكر يقول كاتبه إنه كتبه لشيخه "العلامة أبو عبد الله عمار بن عبد الله ، نفع الله بعلومه". ولكن الدفتر فيه أيضا فصل في أصول الحديث مكتوب على شكل سؤال وجواب.

والرسالة المشار إليها لا تحمل تاريخا، ولكن يبدو أنها كتبت عندما تقدمت السن بالشيخ لزعر، لأن رعشة الأصابع ظاهرة على حروفها.

كان لقائي بالشيخ حروز في شهر فبراير سنة 1988، أي قبل ضياع محفظتي بعدة شهور، وهي المحفظة التي كانت فيها يومياتي المفصلة، ومنها يومياتي في مكة.

وفي زيارة لي سابقة للمدينة المنورة خلال السبعينيات تعمدت زيارة منزل الشيخ عمار القريب من الحرم. وكان بطراز عربي عثماني ويبدو الاتساع والرونق. دخلته وسألت عن آثار الشيخ فقيل لي إن المكتبة قد احترقت وأن الشيخ لم يترك آثارا مكتوبة وإنما ترك بعض الإملاء في المواد التي كان يدرسها في الحرم وغيره وهي مفرقة في أيدي تلاميذه. فخرجت من المنزل صفر اليدين. ولكني كنت أتساءل مع نفسي: كيف أن عالما في حجم الشيخ عمار تحترق مكتبته وتفقد آثاره ولما يمض على وفاته عقد من الزمن؟ ومما زاد الطين بلة أن المباني التي كانت بجنب الحرم كلها أزيلت في نطاق توسيع الحرم.

نقدم هنا نصين الأول ورقة بخط الشيخ عمار لزعر كتبها لمن طلبها، وهي التي سلمها لي الشيخ محمد علي حروز. والنص الثاني هو جواب الشيخ عمار لأحد طلابه ويدعى محمد سعيد دفتردار، وهذا الأخير قام بنشر الجواب في مجلة المنهل السعودية على إثر وفاة الشيخ عمار. والجواب عبارة عن (سيرة ذاتية) طلبها الطالب من شيخه فوافاه بها. وقد اعتمدنا في نشر النصين على بعض المراجع التي تناولت حياة الشيخ لزعر وخصوصا ترجمة تلميذه الشيخ

الطاهر التليلي له ومقالة الأستاذ بشير خلف التي نشرها على موقعه الاليكتروني.

ولد عمار لزعر في قمار بوادي سوف وانتقل طفلا مع والده إلى قرية فلياش نواحي بسكرة، ومنها إلى سيدي عقبة حيث حفظ القرآن الكريم، ثم رجع إلى قمار مراهقا، ومنها سافر مشيا على الأقدام إلى جامع الزيتونة بتونس، فدرس فيه إحدى عشر سنة حصل بعدها على شهادة العالمية (التطويع) سنة 1927.

وكان أهل قمار يبحثون عمن يثقفهم ويعلم أبناءهم فاتصلوا به داعين إياه للإقامة عندهم ونشر التعليم بينهم واجتمعت عليه كلمتهم في البداية. فحضر وباشر التعليم في المسجد وفي المنزل. ثم بدأت الضغوط عليه من الإدارة الاستعمارية وبعض الطرق الصوفية عندما نهى عن البدع ودعا إلى الصحوة والعودة إلى طريقة السلف الصالح في فهم الدين، أو كما قال هو عندما نهى عن عبادة غير الله. وخلال ذلك كان من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في العاصمة سنة 1931.

أصبح له تلاميذ كُثُر وأنصار في مختلف أنحاء سوف. وكان من ممثلي جمعية العلماء في الجنوب. ومن تلاميذه الشيوخ الذين اتجهوا مثله إلى جامع الزيتونة وتخرجوا منه كالطاهر التليلي وعبد القادر الياجوري والحفناوي هالي وعلي بن سعد.. وجميعهم اتبعوا

نهجه في الإصلاح. وقد اشتد عليه الضغط من سجن ومساءلة وتوقيف واتهامات مختلفة. وقد ظل على هذه الحال حوالي إحدى عشر سنة خاف بعدها كما قال، على أهله وعياله فقرر الهجرة إلى الحجاز في سنة 1937، ولكنه ترك النبت قد نما والفكرة قد انتشرت ولذلك لم ينقطع الإصلاح واليقظة العلمية بعد هجرته.

في المدينة المنورة وفر له الملك عبد العزيز آل سعود سبيل الإقامة بأهله، فدخل المدرسة الشرعية مدرسا. ثم انتقل إلى التدريس في الحرم النبوي حيث قضى مدة طويلة وكان له فيه حلقات علمية مقصودة، ثم منه إلى دار الحديث حيث كان يوم كتب سيرته الذاتية في السنوات الأخيرة من حياته.

ويذكر الشيخ التليلي الكتب التي درسوها على الشيخ لزعر، فمنها مختصر خليل، وصحيح البخاري، وكفاية الطالب، وتفسير الجلالين، والآجرومية، والقطر، ومقدمة الإعراب، وشرح السلم، وإيساغوجي، والرحبية في الفرائض، وجواهر الأدب لأحمد الهاشمي، والورقات في الأصول، وبانت سعاد، وشرح جمل الإعراب، والأربعون حديثا. ويظهر أن الشيخ لزعر لم يتكلف الأدب ولا فنونه، فلم ير تلاميذه له أي أثر أدبي شعرا كان أو نثرا، فربما لم يكن يتذوقه، كما لاحظ الشيخ التليلي. واعتمد الشيخ التليلي في ترجمة شيخه على ذكريات الدراسة عليه في قمار، ومما تلقاه من بعض مريديه أو من بقايا عائلته. كما اطلع أيضا على ما

كتبه أحد تلاميذ الشيخ لزعر السعوديين بعد وفاته في مجلة (المنهل)[1].

سيرة مختصرة للشيخ لزعر

" كنت في مبدأ حياتي فقيرا وابن فقير، ابتدأت في حفظ القرآن في بلدة فلياش (قرية من مدينة بسكرة في جنوب الجزائر)، ثم انتقلت من فلياش مع والدي(إلى) بلدة سيدي عقبة وأتممت فيها حفظ القرآن . وبعدها رجعت إلى مسقط رأسي قمار في وادي سوف.

ثم تقت إلى طلب العلم فسافرت مع والدي إلى تونس مشيا على الأقدام للكتراع (كذا) من حياض العلم في جامعها الأعظم جامع الزيتونة، وانخرطت في سلك التعليم فيه في سنة 1334 هجرية (1918 ميلادية)، وأدركت فيه الكبار من العلماء:

منهم الشيخ الصادق النيفر الملقب يومئذ بسفينة الفقه، درست عليه العاصمية إلا شيئا قليلا منها، وكان له شرح عليها طبع بعد وفاته.

1 - المنهل مجلة أسسها الشيخ عبد القدوس الأنصاري خلال الثلاثينيات من القرن الماضي، وهو من أصول مغاربية، وقد استعان على تحريرها بأحمد رضا حوحو المهاجر عندئذ فكان يغطي له أخبار الأدب الأوروبي كالترجمة من الفرنسية. انظر كتاب صالح خرفي عن حوحو في المهجر.

ومنهم الشيخ أبو الحسن النجار قرأت عليه كتاب تنقيح الفصول من قواعد الأصول.

ومنهم الشيخ محمد الزغواني مدرس الفقه المالكي فقرأت عليه في مختصر خليل بشرح الدردير في أربع مراحل.

ومنهم الشيخ عثمان ابن المكي قرأت عليه العاصمية، وله عليها شرح مطبوع ينتفع به الناس كثيرا.

ومنهم الشيخ الطاهر بن عاشور قرأت عليه جملة من التفسير والحديث.

ومنهم الشيخ محمد ابن القاضي قرأت عليه تلخيص المفتاح في البلاغة.

ومنهم الشيخ محمد الدامرجي قرأت عليه شرح الأشموني على ألفية ابن مالك في أربع مراحل.

ومنهم الشيخ محمد الجدي البنزرتي مدرس التجويد (جملة أو عبارة منزوعة نتيجة تمزيق أصاب الورقة) فقرأت عليه الجزرية وشيئا من الشاطبية، وقرأت عليه بالأداء إلى ما يسمى بسما (كذا).

وغير هؤلاء من شيوخ الجامع ممن حصلت عليهم بعضا من التفسير والحديث والمصطلح وأصول الفقه واللغة كالمعلقات السبع وسلم المنطق وبعضا من التهذيب.

وبعد تمام الدراسة في ثماني مراحل تخرجت بشهادة التطويع المعادلة يومئذ لشهادة العالمية، وذاك سنة 1342هـ (1926م).

ثم رجعت إلى الجزائر لابتداء صفحة أخرى من الجهاد في نشر التوحيد والرجوع إلى الكتاب والسنة ومحاربة البدع والضلالات من عبادة الأموات وغيرها. وكنت أحد المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين ورئيسا لشعبتها في (جنوب إفريقيا). وقد لقيت في نشر الدعوة في تلك الربوع أذى كثيرا من الاستعمار وإخوانه من الطرقيين. يعرف ذلك الحاضرون يومئذ، أحتسب ذلك عند الله عز وجل. ودامت تلك الصيحة من الجهاد إحدى عشر سنة.

ثم أعقب ذلك الهجرة إلى هذه البلاد المقدسة خوفا على النفس والأهل والذرية من الفتن، وذلك في سنة 1353هـ (1937م) وقد وجدنا من جلالة الملك المعظم إمام المسلمين الملك عبد العزيز آل سعود، طيب الله ثراه وأسكنه فراديس الجنان في أعلا عليين مع الصالحين الأبرار، قد وجدنا منه كل مساعدة وإكرام إلى (أن) وصلنا المدينة في الخامس من ربيع الأول سنة 1354.

ثم دخلت مدرسا في مدرسة العلوم الشرعية، ثم حصلت على التدريس في المسجد النبوي، ثم خرجت من المدرسة الشرعية إلى دار الحديث التي أنا فيها في الوقت الحاضر. والله يحسن العاقبة للجميع".

سيرته من مجلة (المنهل)، 1969

كانت المنهل تصدر بالمدينة المنورة. وبعد وفاة الشيخ لزعر نشرت مقالة بقلم الشيخ محمد سعيد دفتردار تلميذ الشيخ لزعر وجواب هذا له على طلبه ملخصا عن سيرته الذاتية. (الجزء 8 السنة 35 المجلد 30 شعبان 1389/ أكتوبر ونوفمبر 1969 ص 4-11 تحت عنوان من أعلام المدينة المنورة). قال الشيخ دفتردار:

"كنت طلبت من فضيلة الشيخ عمار الهلالي (لزعر) أن يمدني بموجز عن تاريخ حياته العلمية فوعدني بإجابة طلبي. وبعد أسبوع ... زارني في منزلي وأعطاني هذه الترجمة التي أنقلها إلى قراء **مجلة المنهل** كما تلقيتها منه بخطه وأسلوبه. قال الشيخ عمار...

"أما بعد فقد سألني من يحسن الظن بي أن أكتب موجزا عن تاريخ حياتي العلمية وبيان الظروف التي صحبت طلبي للعلم ومتى وأين كان ذلك الطلب فتريثت قليلا ثم أجبت شاكرا له حسن ظنه بي مستعينا بالله تعالى فأقول: ولدت في بلدة قمار في واحات الصحراء الكبرى في جنوب الجزائر العربية في عام 1316 هـ ونشأت في عائلة فقيرة إلا من الإيمان بالله ثم ابتدأت حفظ القرآن الكريم وأنا في سن مبكرة في حياتي في بلدة فلياش، قرية من قرى بسكرة وأتممت حفظه في بلدة سيدي عقبة بجنوب الجزائر ثم رجعت إلى مسقط راسي، ولما لم أجد بها ما كنت أصبو إليه من طلب العلم استعنت الله ورحلت إلى تونس مشيا على الأقدام بصحبة

والدي. وقد تكبدت مصاعب كبيرة عظيمة يهون أمرها على من طارت به الأشواق في طلب العلم والاكتراع من معينه الزلال ودخلت توا جامع الزيتونة وانخرطت في سلك التعلم وذلك في سنة 1334 هـ...

وبعد تمام الدراسة في تسع سنوات تخرجت بشهادة التطويع المعادلة لشهادة العالِمية وذلك سنة 1343 ثم عدت إلى الجزائر لابتداء صفحة أخرى من الجهاز المقدس في نشر عقيدة السلف والدعوة إلى الرجوع إلى كتاب الله والسنة ومحاربة البدعة والضلالات. كنت أحد المؤسسيين لجمعية العلماء المسلمين ورئيسا لشعبتها في بلدة قمار في جنوبي الجزائر.

وقد لقيت في نشر الدعوة في تلك الأيام ما يلاقيه أمثالي من جور الاستعمار وإخوانه من الطرقيين... ودامت الصفحة من الجهاد إحدى عشرة سنة ثم أعقب ذلك الهجرة إلى هذه البلاد المقدسة خوفا على الأهل والذرية من الفتن وذلك في سنة 1353.

وقد وجدت أنا ومن هجر معي من التلاميذ من جلالة الملك المعظم إمام المسلمين الملك عبد العزيز آل سعود... وجدنا منه كل مساعدة وإكرام إلى أن وصلنا إلى المدينة المنورة في الخامس من ربيع الأول سنة 1354 ودخلت مدرسا في مدرسة العلوم الشرعية ثم حصلت على وظيفة التدريس في المسجد النبوي ثم انتقلت من مدرسة العلوم

الشرعية إلى دار الحديث وأنا إلى الوقت الحاضر أدرس فيها وأجد فيها رعاية وتقديرا من ولاة أمورها.

وأنت أيها الأستاذ المؤلف الفاضل: شكرا لك على حسن ظنك بي، ولعلك تجد فيما كتبت تطويلا كثيرا ولكني اجتهدت، ولكل مجتهد نصيب... فلك حرية التصرف كما تشاء والله يتولى الجميع.

وحرر في 7 ربيع الأول 1387 هـ كتبه عمار بن عبد الله بن طاهر بن أحمد الهلالي الجزائري."

❖❖❖

قال الشيخ دفتردار أخبرني الشيخ أنهم في بلادهم أهل مزارع ونخيل، وقد كتبت الترجمة بأسلوبه ليطلع القارئ على أسلوب الشيخ عمار العلمي. وللشيخ مؤلفات وتعاليق، منها مؤلف في أصول الفقه، والثاني شرح للبيقونية في أصول الحديث[1]، وكان الشيخ

[1]- هل هما العنوانان الموجودان في الدفتر الذي قدمه لي الشيخ حروز؟ والشيخ حروز يدعى عند البعض بالشيخ قدور أو غدور، ولد في قمار، وبينه وبين والدتي نسب وصهر، وهو من المتنورين، عمل حلاقا في بوسعادة وفي الجلفة وغيرهما فعرف السياسة الفرنسية عن كثب، ولكن العيشة أجبرته على الهجرة إلى الحجاز حيث استقر في مكة وبنى بيتا، وله أسرة بعضها في الجزائر وبعضها في السعودية، وكان يتردد على الجزائر وخصوصا قمار حيث يزور الشيخ التليلي الذي كان يتبادل معه المراسلة، ورغم أن ميوله كانت إلى حزب الشعب فإنه كان يتعامل مع رجال جمعية العلماء. وأثناء الثورة قام بنشاط ملحوظ من السعودية بالتنسيق مع محمد خيضر أولا ثم مع مكتب جبهة التحرير منذ تأسس في

مداوما على حضور الجماعة في المسجد النبوي، وله حلقات خاصة لدروس كان يلقيها في المسجد النبوي بعد صلاه الصبح، وبعد المغرب وفي أوقات أخرى. ويحضر دروسه كثير من طلاب العلم والعوام لأن دروسه تتجه بسورة خاصة إلى الوعظ والإرشاد وبيان قواعد التوحيد مع المواظبة والملازمة وحسن الأداء وجهارة الصوت. كما كان شديد الغيرة على الدين وعلى طريق السلف الصالح. وكان رجلا مهيبا أسمر اللون مربوعا مدور الوجه متجهما لا يعرف المزاح ولا المحاباة مبعثر اللحية، يتكلم اللهجة المغربية حتى في دروسه. عرفته عن طريق أستاذنا الشيخ عمر برّي. وكثيرا ما كانت تقع بينهما بعض المناظرات على تحديد معنى أو تأويل بيت من الشعر أو تفسير آية أو توجيه حديث فيتصايحان ويتخاصمان ثم يعودان إلى المواصلة والمصافاة. وطريقة الصلح بينهما أن يزور الشيخ عمار الشيخ عمر بري ويصحب معه قارورة صغيرة من النشوق المغربي يقدمها هدية للشيخ عمر. توفي الشيخ عمار في 28 من جمادى الأولى سنة 1389 هـ طيب الله ثراه[1].

السعودية. وله أصدقاء من الوادي وبوسعادة والجلفة ينزلون عنده في موسم الحج والعمرة. وقد انتهى به المطاف إلى تأسيس (وقف أهل سوف) الذي جعله نزلا لضيوفه في المواسم الدينية. توفي في مكة بعد مرض طال به.

[1]- النص ليس منقولا مباشرة من المنهل ولكن من النسخة التي نقلها الشيخ الطاهر التليلي، وهي بخطه.

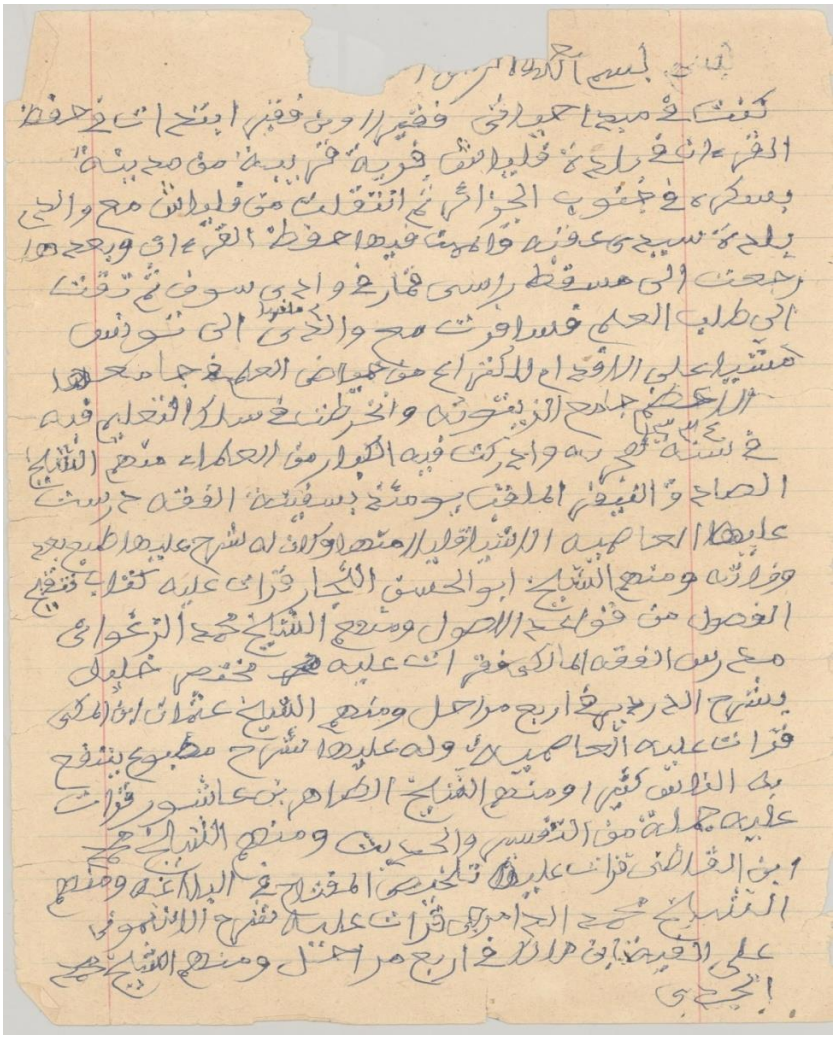

الصفحة الأولى من ورقة الشيخ عمار التي قدمها إلي الشيخ حروز

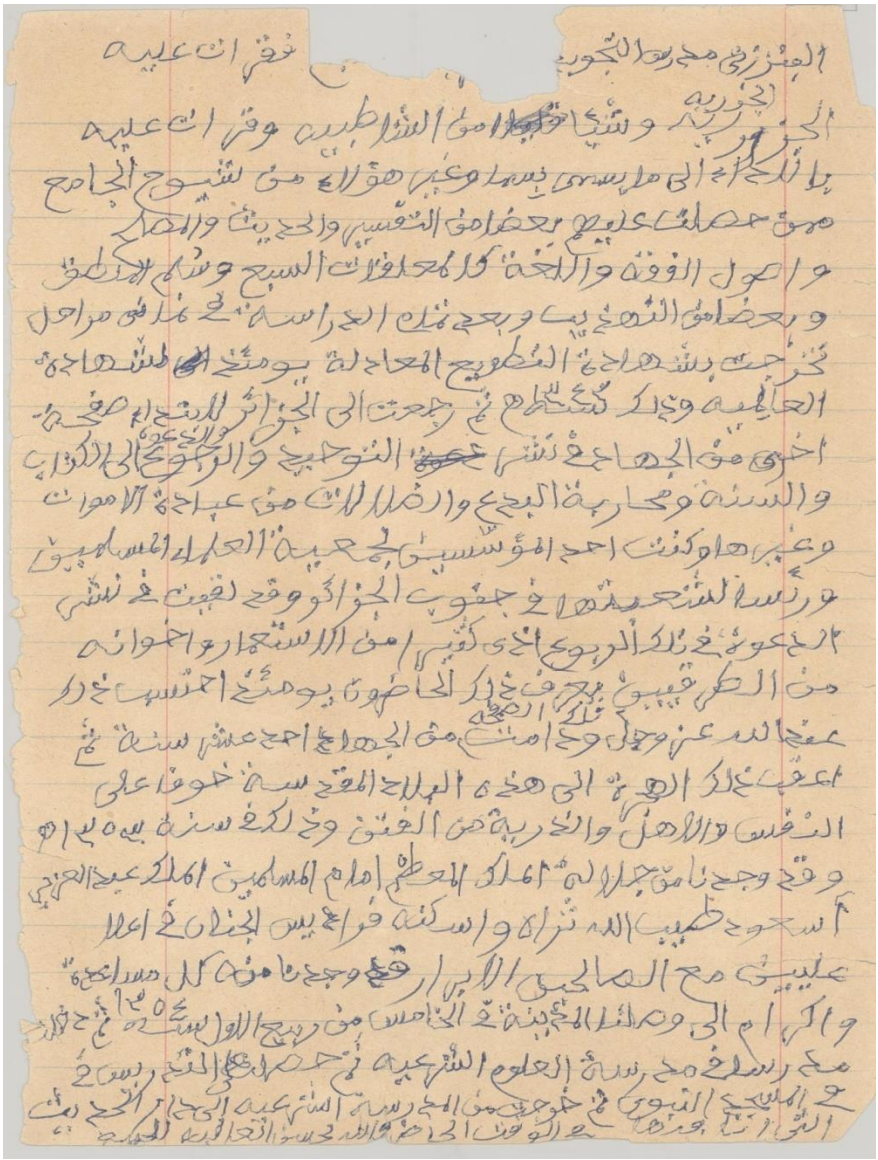

الصفحة الثانية من الورقة التي سلمنيها الشيخ حروز

تقديم قصيدة التقريض

ألف المؤلفان (غوفيون) كتابهما **أعيان المغاربة** وطبعاه في مطبعة فومنتانا بالجزائر سنة 1920. وهما المستشرقان الفرنسيان إدمون غوفيون وزوجته مارثا. (Edmond Gouvion et Marthe) وقد ضم الكتاب الضخم سيرة وصور العلماء والقضاة والأشراف ورؤساء الطرق الصوفية والقادة الذين عاشوا في فترة الاحتلال وتعاملوا مع فرنسا معاملة حسنة فكافأتهم بالمناصب والأرض والنياشين (الأوسمة). ومنهم عائلة ابن باديس. ولا شك أن المعلومات التي جاءت في الكتاب عن أعيان الجزائريين قد جمعت من أرشيف المخابرات ومن سجلات المكاتب العربية (بيرو عرب). فالكتاب هو حصيلة تعاون المخابرات والاستشراق. وقد ألف الكاتبان المذكوران كتابا مماثلا عن أعيان المغرب الأقصى يحمل نفس العنوان وهو **أعيان المغاربة**. ونرجح أن الكتاب يدخل في مشروع التحضير لاحتفال فرنسا المئوي باحتلال الجزائر واحتلالها الجديد بالمغرب الأقصى والتحضير لإعلان الظهير البربري الشهير.

كان عبد الحميد بن باديس ساعة كتابة تقريض أعيان المغاربة في حوالي الثلاثين عاما من عمره، ممتلئا حيوية ونشاطا، حاملا لمشروعه الإصلاحي، باحثا عن مساندیه، واضعا له خطط المستقبل. ونحن لا ندري العلاقة بين ابن باديس وغوفيون ولكن يبدو أن هذا المستشرق قد طلب منه تقريضا لكتابه باعتباره من

أبرز وجوه الجزائر في الساحة عندئذ وابن أسرة لها مكانتها في تاريخ ومجتمع الجزائر، فوافق وكتب له قصيدة قصيرة هي أقرب إلى النظم منها إلى الشعر، وقد بادر المستشرق إلى ترجمتها إلى الفرنسية ووضع نصها في فاتحة كتابه. ومن هذا النص صورنا نسخة هي التي نعيد نشرها اليوم لأن الجيل الجديد لم يطلع عليها ولم يعرف ظروفها، والمفروض أن يعلم مختلف الجوانب والظروف التي ساهمت في تكوين قيادات بلاده، ولعل الكثير من الجيل القديم أيضا لم يطلع على هذا النص لأنه من كتابات الشيخ ابن باديس المبكرة ولأن أنصاره ربما لم يروا فيه ما يستحق الترويج.

إن أسرة ابن باديس عريقة في تاريخ المغرب العربي. فهي تنحدر من قبيلة صنهاجة التي لعبت دورا في أحداث بلاد المغرب منذ الفتح الإسلامي، وبالخصوص منذ القرن الرابع الهجري. فقد أنجبت قادة وأمراء وعلماء وشعراء شاع ذكرهم في المنطقة من بحر الظلمات إلى مصر والشام. وقد ذاع صيتهم في العهد الفاطمي حين تعاملوا مع المذهب الإسماعيلي بذكاء ودبلوماسية، ثم رجعوا عنه حين أتيحت الفرصة إلى تيار السنة والجماعة والمذهب المالكي. وكان على رأسهم الأمير المعز بن باديس الذي تولى الحكم وهو في الثامنة من عمره سنة 407هـ/1017م. وفي عهده حصلت تغريبة بني هلال الشهيرة. فحدث تنسيق واندماج بين أمراء صنهاجة والقادة الهلاليين

فتحالفوا على دمج العنصرين البربري والعربي سياسيا وعسكريا وتصاهروا اجتماعيا وتعاونوا على ترسيخ الثقافة العربية والدين الإسلامي طبقا للمذهب المالكي حتي أصبح من أمراء صنهاجة من تفوق في الفقه وقرض الشعر العربي كما كان بلاطهم مقصدا لكبار الكتاب والشعراء.

وحين استولى المرابطون (وهم أيضا فرع من صنهاجة) على مملكة صنهاجة في القيروان والمهدية اختفى هؤلاء من المسرح السياسي وركزوا على دراسة العلم والتفوق في أحكام الشريعة الإسلامية والأدب العربي، واستمروا في سياسة الدمج بين العنصرين العربي والبربري حتى تكونت منهم لحمة لا انفصام لها. وهكذا برز في حقل الشعر الحسن بن باديس صاحب القصيدة السينية التي عكف على شرحها عدد من الأدباء والمتصوفة لأنها تثير لواعج الشوق إلى بغداد والحنين إلى صاحب الضريح فيها وهو الشيخ عبد القادر الجيلاني.

ومنذ العهد العثماني ظهرت أسماء كبيرة باديسية في عالم الثقافة ولا سيما في مناصب النفوذ كالقضاء والسياسة أو السمعة كالأدب والخطابة والتدريس. ومن يرجع إلى مصادر الشرق الجزائري ومؤلفات تونس في ذلك العهد يجد العديد من تلك الأسماء. أما في عهد الاحتلال الفرنسي فقد أضاف الباديسيون التحدث باسم "الأهالي" وتقديم العرائض إلى السلطات الفرنسية

للمطالبة باحترام الأوقاف الإسلامية وملكية الأرض وثوابت الشعب كاللغة والدين والأحكام الشرعية. وكان ظهور عبد الحميد في هذه الفترة ولكنه أختار أو ساقه القدر إلى خدمة الجزائر عن طريق مشروع جديد هو الإصلاح وإحياء التاريخ ومكونات الثقافة العربية الإسلامية.

فالقصيدة التي نقدمها اليوم ليست الأولى ولا الأخيرة للشيخ عبد الحميد بن باديس، فقد نظم الأناشيد لطلابه، وارتجل الأبيات في خطابه، وضمن رسائله النثرية بعض الشعر، وهذا راجع إلى سليقته التي منحتها له ثقافته العربية الأصيلة وليس إلى تعاطيه الشعر فنيا وصنعة. فهو يقول الشعر عادة لاستنهاض الهمم ودعم دعوته الإصلاحية.

وقد أشاد في القطعة التي ننشرها بالسيد غوفيون كعالم لا كمستعمر ورأى أن العلم يتجاوز الحدود الجغرافية والعرقية، ومدح أهمية كتابه في الكشف عن ماضي الجزائريين، ولم يهتم بعلاقتهم بالاستعمار، وقد حث الغرب على تقدير عمل غوفيون. أما المسلمون فهم يعترفون بجميله لتخليد ذكرهم في بطون الكتب. واللافت للنظر هو أن ابن باديس قد امتدح فرنسا بأنها أمة قد حازت قصب السبق في تقدير العلم بينما هو يشكو من تعديها على مقومات ثقافته.

نص القصيدة

1 -للعلم رابطة تُرْبي على النسب

عند الألبّاء من عجم ومن عرب

2 -والناس مهما غذتهم العلوم غدوا

كأسرة بين أمّ برّة وأب

3 -فهذا (قوفيون) من فرنسا همتُه

إحياء ذكر بيوت المغرب النُّجُب

4 -سعى وزوجتَه بالجد يعضده

علم وفكر فنالا غاية الأرَب

5 -وعرّف الناس في مقدار سادتهم

من القديم وأحيا دارسَ النسب

6 - وعادة في كبار الناس أنسبهم

بذِكْر كل كبير من ذوي الحسب

7 - يا ما أجلك يا (قوفيون) من رجل

أدّيت حق بني الإنسان والأدب

8 -حقٌّ على الغرب أن يجلَّ قدرك من

تعظيمه رتبة تسمو على الرُّتب

9 - بدأتنا بجميل لا يكافئه

منا ثناءٌ ولا شيء من النَّشَب

10 -لكن نخلده وسط القلوب كما

خلّدت من ذِكرنا في باطن الكتب

11 -ومهما تأتِ من الإحسان غايته

فليس في ذاك عند الناس من عجب

12 -فأنت من أمّة في الناس عادتُها

في العلم والفضل أن تفوز بالقَصَب

ابن باديس عبد الحميد

تعليق

القصيدة بدون عنوان ولا تاريخ. وهي ليست بخط الشيخ ابن باديس ونلاحظ أن اسمه في آخر القصيدة تأخّر على اللقب. وكلمة "فنالا" في البيت الرابع وردت (فنال) بدون تثنية، وكلمة "تسمو" في البيت الثامن وردت (تسموا) بالألف.

صورة القصيدة